حدس الشعراء الأندلسيين
أيقونة خفية لنبوءات متحققة

أ.م.د.رعد ناصر الوائلي
كلية التربية/جامعة واسط

(**خلاصة البحث**)

يسعى هذا البحث إلى قراءة تلك الفاعلية الشعرية التي جرى تداولها على فراغ الشعراء الأندلسيين متمثلة بمقدرة الحدس والتنبؤ بوقائع لم تكن قد حصلت بعد وقد قمنا برصد هذه الظاهرة وتبويبها من خلال تناول المرجعية التاريخية التي استندت إليها هذه الظاهرة، وتقديم أمثلة عديدة من نبوءات الشعراء الأندلسيين وحدوسهم.

متناولين ذلك عبر نماذج شعرية كثيرة جرى تحليلها وتبويبها واستنطاق قيمها الدلالية والموضوعية.

مدخل:

هي نبوءة ليست كنبوءة الكاهن أو العراف الذي يخبط خبط عشواء في خيالات تصيب بعضها وتخطيء في كثير منها. وهي نبوءة ليست كتلك التي تميز بها الأنبياء (عليهم السلام) فاصطفاهم الله على سواهم من البشر. وهي كذلك ليست كنبوءة الصوفي الذي تتجلى له صورة الغيب وما بعده حتى يصل من خلالها إلى حالة من المكاشفات والتجليات وصولاً إلى الذات الإلهية بعد أن تفني النفس صفاتها وتتحرر من قيودها في بيئة كانت تتسم بالثراء الفكري، اغتنى فيه العقل بمرجعيات هائلة من المعرفة، منها ما هو إسلامي وآخر أجنبي بعد أن دبجتا بتأثيرات روحية عميقة تقوم على النظر والتأمل. [١]

فليس كل هذا وذاك مما تقدم، ما نعنيه في بحثنا. فالذي نعنيه هي تلك الرؤى التي قامت على تلمس حدس الشعراء الأندلسيين فأحالت نظرتهم التأملية إلى حقيقة نكاد نلمسها على الواقع.

فما استطعنا حصاده من نصوص، إنما تنبيء عن قراءة مخبوءة للشاعر النبوئي بعد أن استطاع اصطياد خفايا الكون وقوانينه وما يختبيء خلفه بطريقة تقوم على الحدس واستنطاق الأحداث فأضحى الشاعر- عندئذ – يرى ما لا يراه غيره وهو يغوص في عالم المجهول والخفي ارتقاء لرؤى اخرى جديدة تعيد تشكيل الواقع نفسه.

ترى هل استطاع الشاعر الأندلسي أن يتخطى حسه الوجودي إلى عالم غيبي يتغلغل في وجدانه. وهل استطاع القلق الذي كان يساور جل الأندلسيين في أرض قلقة المهاد لا تعرف السكينة والرقاد في أغلب عصورها أن يلعب لعبته فيرفض ذلك الواقع في حاضره ومستقبله انطلاقاً نحو رؤية جديدة تكشف المخبوء. وهل كان الشاعر الأندلسي - كسواه من الشعراء – يخضع إلى آلهة الشعر(فتبث الآلهة حديثها على لسانه) [٢] تلك هي الأسئلة التي تحاول أن تدرك امكانية الشعر في الكشف عن الإسرار بعد تحطيمه لآنية الزمان والمكان.

لا يقف مفهوم النبوءة عند المحسوس من الأشياء، طبعا. وإلا يكون قد اقترب من الوصف زلفى. بل تجاوز في ذلك إلى ما ورائه من كشف للمخبوء ومحاولة هتك أستار الحقائق التي ـــ بلا شك ـــ تمثل فراسة الشاعر وقدرته على قراءة الأحداث واستنطاقها.

لم يكن هدفنا في هذا البحث بأوراقه النزرة أن نلجأ إلى الاستقصاء والاستقراء لنصوص الأندلس الشعرية أجمعها. لصعوبة الإلمام بها في بحث كهذا فعمدنا من جهة أخرى إلى استنطاق التاريخ أيضا من خلال ما توارد من أخبار وقصص وسير تتعلق بالتاريخ الأندلسي، محاولة منا تبيان صدق ما تنبأ به الشعراء.

إن محاولة اصطياد مثل هذه الصور في بحر الأندلس المترامي الأطراف، لم تكن بالمهمة اليسيرة على الباحث لتداخل الموضوعات وتقاربها بشكل يصعب فك رموزها. كون النبوءة ـــ مفهوما ـــ قد رسخت في أذهاننا على أنها مختصة بالأنبياء فحسب. مما أدى عدم التبلور هذا إلى خلط الأوراق واتهام الشعراء بالكفر أحيانا وبالشطحات أحيانا أخرى. مما دفعنا إلى القراءة المتأنية التي تعصمنا من الزلل، ولنفصل ما تشابك من المفاهيم. فنقرر أن نبوءة الشعراء هي ليست تلك النبوءة المتعلقة بالأنبياء وأن ما جبل عليه الإنسان، منذ فجر التاريخ إلى الميل الكبير نحو النبوءات الطيبة التي تداعب مخيلته لغاية استبشارية في جانب الخير من البشرى، إنما تنبع أيضا من محاولته تفسير الظواهر الطبيعية تفسيرا قائما على العقل في حدود تفكيره الضيق استجابة لحاجات المجتمع ومداواة لعواطفه الميالة إلى كل ما هو خارق وخارج عن نطاق المألوف. ولا أرانا نبعد إذا قلنا إن النبوءة تقترب في مفهومها هذا من الأسطورة التعليلية التي يحاول الإنسان الذي لم تسعفه حواسه في تحقيق رغباته في الواقع لعجز ما، أن يعلل أي ظاهرة طبيعية كانت أم اجتماعية أم حتى حربية، وفقا لأهوائه. فتراه يختلق حكاية يكون مصنع بنائها عقله الباطن، فتشرح سر الوجود وتعلل الانكسارات والانتصارات، وتحلق بعوالم أخرى لا

يستطيع العقل إدراك كنهها أولا، ثم ما تلبث أن تصبح حقيقة، أو تكاد، بعد ترسخها في ذهنه. فلقد دلت رؤى النوم من ناحية الحس والوجود على سبق العلم من حيث المحاذاة والموافقة قبل الوقوع وثبوت الرؤى متواتر وهو دليل وجداني. (٣)

ولو عدنا إلى النموذج الجاهلي لا سيما الشعر منه. لألفينا أن الشاعر ــ وقتذاك ــ غالبا ما يستمد معانيه وأخيلته مما يحيط به من بيئة تكاد تكون ثابتة غير متغيرة. وإن حاول أن يغير من بيئته بالتنقل وراء الماء والكلأ. فالصورة هي، نفسها والمناظر كذلك. فتتحول عندئذ هذه (السيناريوهات) إلى شريط ممل متكرر. ولما كان الشاعر يحمل روحا شفافة وحسا مرهفا تواقا للتوقد في كل انفعال. تراه يحاول أن يحلق بآفاق أكثر رحابة من بيئته الضيقة. فينكفئ على ذاته ولكنها لم تسعفه هي الأخرى كونها قد جبلت على إشباع غريزتي الطعام والجنس وهما صورتان متكررتان أيضا ولا تشكلان أي بعد (ميتافيزيقي) في تفكيره. ولذلك لم يجد بدا سوى اللجوء إلى الأساطير والخرافات والنبوءات محاولة منه نسج عوالم جديدة تربأ به عن العوالم المألوفة. مما يستدعي ــ كما بينا ــ صياغات جديدة وأفكاراً أكثر جدة تفسر ما يظهر في الكون من غضب الطبيعة أو دوال الدول وانهيارها، أو سوى ذلك من أحداث جسام تغير خريطتها السياسية أو الحضارية. ويبقى حظ الشاعر ههنا في قدرته على إيجاد آصرة بين هذا وذاك بما يمتلكه من قدرة في العبث بالكلمات وسحر في القول، فيوظف نفسه في الأغلب الأعم بطلا لتلك الحوادث. التي يرسم نهاياتها، متنبئا بمصيرها. فالشاعر الجاهلي دريد بن الصمة ينصح قومه ويحذرهم من معارك شديد وقعها مع اعدائهم المدججين بالسلاح بيد أن هذا التحذير لم يجد اذانا صاغية قائلا: (٤)

وقلت لعراض وأصحاب عارض ورهط بني السوداء والقوم شهدي
علانية: ظنوا بألفي مدجَّج سراتهم في الفارسيِّ المسرد
أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأنني غير مهتد

وهكذا على وفق ما تيسر لنا من تفسير للنصوص أن نفهم الكيفية التي بني على أساسها الأنموذج الجاهلي، القائم على التقصي لموجودات الطبيعة وتفسيرها بأسلوب يكاد يقترب من تطابق النبوءة مع واقعها.

فإذا ما عطفنا عنان الكلام واتخذنا من الانموذج الجاهلي قاعدة نبني عليها تصوراتنا في بناء الأنموذج الأندلسي، فإننا لا نبعد عن ذلك آخذين بعين الاعتبار اختلاف التكوين البيئي والطبيعي والتاريخي والسياسي الذي شكل

الخريطة الأندلسية. محاولة منا تفسير ميل الأندلسيين الواضح نحو الخرافة والأساطير والنبوءات مفترضين أن التداخل الاجتماعي في نسيج مكوناته من شعوب يونانية وقرطاجية وبربرية وعربية، وبأديان مختلفة سيكون مدعاة لتحلق الأسطورة والخرافة والنبوءة والأحلام وما يتعلق بها في سمائه. وهروبها من قفص العقل. بصورة اشمل مما هو مالوف في الجاهلية وأوسع. فأثرت تأثيرا واضحا في الواقع الأندلسي في النواحي الدينية والسياسية والاجتماعية. فضلا عن توظيف قدرتها في نشوء الأمة الأندلسية واندثارها على نحو ما سنرى.

نعم لم تكن البيئة الطبيعية التي بنينا على أساسها ما حاق بالإنسان الجاهلي من أسباب لم تدعه الانفلات منها فركب عقله (البسيط) محلقا بالأساطير التي ابتناها، هي البيئة نفسها في الأندلس. فمن الإجحاف ان نقارن بين بيئتين إحداهما صحراوية مجدبة وأخرى خضراء غنية بفكرها لاسيما بعد اصطراع الحضارات والتقائها على أرضها كالأندلس وبذلك نتوقع أن يكون للحدس القائم على القراءة المتأنية لأحداث متوالية أكثر نضوجا من تلك البيئة. بل الذي نعنيه ههنا ذلك الحصار الذي لف حول الشاعر ولم يستطع أن يبارحه وأعني به تأثيرات المجتمع وتكوينه، لما تعود عليه هذا الكائن الأندلسي القلق من شدة الإعجاب بعادات قومه والالتفاف حولها ايجابية كانت أم سلبية مع ضغوطات عقدية وسط دين جديد تطلب منه الحفاظ عليه هذا من جهة والتيارات القادمة من خارج مجتمعه فتفرض عليه انصياعا لا مفر من قبوله وممارسات مرغما على تقبلها مسايرة للواقع الجديد من جهة أخرى.

ففي بوتقة عقلية كهذه انصهرت ذات الشاعر فمزقت دواخله وجعلته في دوامة صراع استعمر كيانه، بين ما كان وما سيكون !. وهذا ما اشرنا اليه في اختلاف البيئة ومدى تاثيرها على سلوك الشاعر.

إن الحضارة الأندلسية الجديدة التي لبست لبوس التمدن والتوطن مع بهرجها الذي سحر القلوب وسلب العقول أحالت الشاعر إلى صراع جديد ومن نوع آخر اختلف في محتواه عن الصراعات الأخرى، فهو صراع المادة والروح. فتراه يرجع بين الفينة والأخرى إلى ذكر الخوارق وما يتصل بها. مما ينبئ عن قلق فكري وتخبط عقلي. فيجعله في تناقض فكري تام. فتارة نراه زاهدا متصوفا، عالما، فقيها، وقاضيا راضخا بذلك إلى منطق العقل وصروفه. وتارة أخرى نراه متشبثا بتلك الأساطير والنبوءات التي ينسجها لنفسه صدقا كانت أم يدعيها بهتانا. فيصوغ لنا وفقا لذلك توقعات استقرأها من واقعه؛ بأسلوب غير مباشر بما أوتي من قدرة بلاغية وسعة اطلاع على ديدن الكهنة في مقدرتهم الإقناعية البالغة. ففي المعنى ذاته يقول أفلاطون ((إن أشعار

الشعراء وتنبؤات الكهنة تنبع من مصدر واحد))[٥]. أو من قدرته على استشراف المستقبل ينطق من خلال ما توارد في مخيلته من آلهة الشعر التي تنطقه فالشاعر منشد وحسب حيث تبث الآلهة حديثها وهو ناقل لها إلى المتلقي كما أشرنا.[٦]

نخلص مما تقدم إن ظاهرة التنبؤ بالأحداث إنما ترسخت في أذهان العرب قبل الإسلام وما بعده واحتلت مكانا فسيحا في مخيلتهم. ولعل ذلك نابع من إيمانهم الراسخ بقدرة الإنسان لاسيما الشاعر على اقتحام المجهول وسبر أغواره وكذلك قدرة العارفين بالتاريخ وحوادثه على استشراف المستقبل وفقا للمعطيات التاريخية في ميزان القوة والضعف. ومن هذا المنطلق ترانا نخضع بحثنا هذا إلى منحيين أولهما استعراض الأحداث التاريخية التي قامت عليها نبوءات تجاوزت نطاق المسوغات أو تفسير النبوءات، لتبلغ حد رسم مصير البشر ونشوء الأمم واندثارها. والآخر نبوءات شعرية مصدرها حدس الشعراء وقوة نفاذهم في تصوير الأحداث.

أولاً: المرجعية التاريخية للنبوءات الاندلسية:

لم يرتبط تاريخ بأدب مبدعيه، وأدب بتاريخ مرحلته في قواميس الحضارات. كما هو الحال في الأندلس. فمن العسير على باحث في الأدب الأندلسي أو تاريخه أن يفرز الخيوط المتشابكة بين هذين الصنوين. (الادب والتاريخ)وما لجوءنا إلى سرد الوقائع التاريخية إلا إيمانا منا بأن التاريخ ليس مُنبتاً عن الأدب فكلاهما يدوران في حلقة مفرغة كما يقال. . .

إن التجربة الإنسانية التي ظهرت في الأندلس استدعت استحضار رموز الحضارة والفكر. والإبداع لتبني معالم مدينة مؤطرة بكل معاني التطور والنماء. وحتى البقاء. ولما مست النكبة معالم تلك المدينة. وهي تنذر بالهلاك والضياع أضحى مفهوم السقوط واسعا لا يمكن أن تؤطره حدود مدينة فحسب. بل يعني فيما يعنيه سقوط حضارة بأكملها امتدت لأكثر من ثمانية قرون، في قلب أوروبا وأضحى مفهوم النكبة والسقوط يأخذ منحى آخر غير الذي عهدناه في نشوء المدن وانهيارها. إنه بالحقيقة استلاب واقتطاع لعضو مهم من جسد الأمة الإسلامية دونما تعويض. ومن الملاحظ أن ثمة علاقة وثيقة بين التنبؤ بنشوء الدول ورجالاتها على اعتبار أن الإنسان هو المحور الأول والمنطلق الأساس في تأسيس هذه الدولة وقيامها. لذلك فإننا واجدون ارتباط فتح الأندلس بالتنبؤ كان المحور الأول لتلك النبوءات التي بشرت بالفتح أو التفكير به. وأعني بذلك قصور العقلية العربية الإسلامية ساعتذاك عن إدراك فهم الأساطير والتنبؤات وحقيقتها التي وجدت لها متعاطين. يمكن أن نصفهم بذوي

التفكير الساذج فالأسطورة والتنبؤات وسواها مما هو خارج التصور الذهني تتناسب عكسيا مع تنامي المعرفة والعقل. فكلما تنامى العقل وتحرك الوعي. ووضع الأمور الغامضة على بساط البحث المجرد ابتعد عن هذه الأساطير والنبوءات. ولجأ إلى معرفة كنه الأمور وبواطنها بطريقة علمية.

وانطلاقا من هذا المفهوم فإن البيئة المغربية التي نضجت فيها فكرة الفتح، كانت كما يبدو مهيأة لاستقبال مثل هذه القصص. لاسيما وإن مبادئ الإسلام لم تترسخ في أذهانهم بعد حتى يرجعوا كل أمر إلى الله والقدر المكتوب. لجدة عهدهم به. وقد حفلت كتب التاريخ التي وقفت على عصر ما قبل فتح الأندلس بالعديد من صور السذاجة في العقلية ساعتذاك.

إن التنبؤ بمصير المسلمين لاسيما في نظرتهم(الجهادية)إلى ما وراء البحار قد شابه تنبؤات عدة وقصص خرافية بلغت حد الأسطورة في كثير منها. ليس فقط من المسلمين أنفسهم، بل من النصارى أيضا. فمما هو مأثور من ذلك، أن آخر ملوكهم (لذريق) بعد أن استوثق أمر الأندلس جميعها. أفسد سنن الذين تقدموه من الملوك. وغير ما هو متعارف عندهم ففتح بابا في إحدى بيوتات طليطلة، تعاهد الملوك الذين سبقوه أن يبقى مؤصدا. وأن يضيف كل ملك يملك الأندلس قفلا عليه. حتى أكتملت عليه أربعة وعشرون قفلا. وكان باب البيت مصنوعا من الصندل ومحلى بحلي من الذهب. لكن لذريق هذا، خالف من سبقه من الملوك وأصر على فتح الباب ومعرفة ما في داخله من ذخائر وأسرار حتى قال لا أموت بغمة هذا البيت حتى أرى ما فيه. ولم يستطع أساقفة النصرانية وأشرافها من الرهبان والقساوسة ثنيه عن فعلته هذه. بل أنهم أغروه أن يدفعوا له من المال والذهب بقدر ما يتوقع أن يجده داخل هذا البيت المقفل، كي لا تحل فيهم من معصية لا يحمد عقباها. وطلبوا منه أن يصنع كما صنع من كان قبله فأبى إلا أن يفتحه. فوجد فيه تابوتا كبيرا قد نسجت عليه العنكبوت ففتحه فوجد فيه صندوقا عليه قفل من ذهب ففتحه ووجد فيه ثوبا مسمطا بالذهب. عليه صورة العرب مسورة رجالا وفرسانا (معتمين) متقلدين سيوفهم متنكبين القسي العربية وهم على هيئة حرب. وهناك رايات تحتها آثار مكتوبة ((إذا دخل هؤلاء القوم الذين هذه صورهم وزيهم هذه البلاد ملكوها وعلامة ذلك إذا رأيتم إقفال البيت مكسورة. فعجب من ذلك وندم على فعله فكان دخول المسلمين إلى الأندلس في تلك السنة بعينها التي فتح لذريق فيها البيت المذكور)). (٧)

وحينما عزم طارق بن زياد الترحال في أودية جبل طارق التقى امرأة عجوز ذكرت له أن زوجها وهو عراف ـــ قال لها إن أميرا ضخم الهامة سيفتح الأندلس. وأن في كتفه الأيسر شامة عليها شعر. مما دفع طارق

بن زياد كشف ثوبه فإذا بالشامة هي هي. فتنبأ بأن يكون استمرار الفتح والانتصار على يديه، وكان كذلك. (٨)

وقد احتجن كتاب(نفح الطيب) قصصا مثيرة في هذا الصدد. لعل أكثرها شيوعا تلك القصة التي أضفت على جوازهم إلى الأندلس صفة التكليف الإلهي متخذة من النبوءة وسيلة لعرضها. فلقد ذكر المقرّي نقلا عن تاريخ ابن بشكوال إن طارقا وهو في لجج البحر قد رأى الرسول الأعظم (ص وآله) وحوله ثلة من المهاجرين متقلدين السيوف ومتنكبين القسي. فقال له الرسول: يا طارق تقدم لشأنك وانظر إليه وإذا أصحابه قد دخلوا الأندلس قدامه. فهب من نومه مستبشرا وبشر أصحابه. وثابت نفسه ببشراه. ولم يشك في الظفر. (٩)

ومثلما قدمنا فإن بعض النصارى أنفسهم قد (بشروا) بمقدم المسلمين، وفتحهم الأندلس ممن كان لهم مآرب في هذا الفتح وتطالعنا بهذا الخصوص ما رواه ابن قتيبة نقلا عن ابن صخر من أن موسى بن نصير قد التقى أحد الأساقفة. فذكر له نبوءة كانت قد كتبت في إحدى أناجيلهم. تذكر هذه النبوءة أنك ستأتي بصفتك صيادا تصيد بشبكتين إحداهما في البحر تصطاد بها وأخرى بالبر. فتضرب بها. مما أثار ذكر ذلك سرورا في نفس موسى بن نصير مستبشرا بنبوءة الفتح. (١٠)

والأمر يطول بنا إذا وقفنا على مجمل النبوءات التي رافقت فتح الأندلس وما تبع ذلك في جواز عبد الرحمن الداخل، وقصة الرجل ذي الضفيرتين الذي سيملك الأندلس ويورثها من بعده وكانت النبوءة قد تحققت عندما علموا أن صاحب الضفيرتين هو الداخل نفسه. (١١) وهناك نبوءات أخرى ارتبطت بعلاقة. . . . . مع المعتمد بن عباد والنصر الذي تحقق في معركة الزلاقة (٤٧٩ هـ). (١٢) أما حين هم ابن تومرت(١٣) بالسيطرة على الأندلس وإسقاط دولة المرابطين، فإنه أقام دعوته على نبوءات ذكرها لنفسه ليصبغ دعوته هذه بصبغة دينية مستندا إلى أحاديث ركز عليها منسوبة إلى الرسول الأكرم تنطبق بعضها على المرابطين وأخرى على الموحدين لتنصرهم على المرابطين مثل استناده إلى قول الرسول: لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله. وقد اقنع ابن تومرت أنصاره من أن هذا الحديث ينطوي على نبوءة الرسول له لما يمتلكه من صفات تجعله هو المعني بالحديث مما زاد فتنة القوم به، وإنه الذي سيقيم العدل حتى قيام الساعة. (١٤)

والنبوءة نفسها نراها تمهد لمجيء تلميذه عبد المؤمن بن علي الذي التقاه ابن تومرت في المغرب. فعرفه من النبوءة التي كان يرددها لما توافر له من علم ومعرفة بعلم التنجيم، فقد كان كما يراه المراكشي. . . . ((أوحد

عصره في علم خط الرمل، مع أنه وقع بالمشرق على ملاحم من عمل المنجمين، وجفور من بعض خزائن خلفاء بني العباس)). [١٥] كما لا يفوتنا أن نذكر تلك النبوءة التي جاء بها عبد المؤمن بن علي حينما حلم في منامه، من أنه يوآكل عليا بن يوسف بن تاشفين في صحفة واحدة فيقول: زاد أكلي على أكله وأحسست بشراهة. ولما قص حلمه على العارفين بتعبير الأحلام، أوحى إليه بأنها نبوءة تبشره بثائر يخرج في الأرجاء يثور على أمير المسلمين وينفرد بالحكم والمملكة. [١٦] وحينما عزم الخليفة يعقوب المنصور الموحدي مع جمع غفير من المقاتلين في عام ٥٩١ ه مقاتلة الفرنجة في نواحي قرطبة حيث حصن (الارك) الذي كان مجتمعا لجيوش الملك القشتالي الفونسو الثامن، فإنه انفرد عن حاشيته ليسجد راكعا ومبتهلا لله في تأييد المسلمين. فغلبه النعاس إبان وقت السحر حتى أفاق بعدها فرحا مستبشرا فدعا بأصحابه ليقص عليهم ما راه في قيلولته من بشرى من الله بالنصر الأكيد حينما فتح له بابٌ من السماء ونزل منه فارس يمتطي فرسا أبيض وبيده راية خضراء، فسأله الأمير من أنت؟فقال: ملك من ملائكة السماء السابعة جئتك لأبشرك بالفتح ثم أنشدني هذه الأبيات التي نقشتها في قلبي: [١٧]

بشائر نصر الله جاءت سافرة لتعلن أن الله ينصر ناصره
فابشر بنصر الله والفتــح أنه قريب وخيل الله لاشك ظافره
فتفني جيوش الروم بالسيف والقنا وتخلي بلادا لا ترى بعد عامره

فالأبيات لعبد المؤمن بن علي وقد عرف عنه كونه شاعرا أيضا. وكان غالبا ما يحيط نفسه بهالة دينية ليضفي على خلافته سمة التكليف الرباني كما يبدو ذلك من تنبُّئِه بالنصر المبين والفتح القريب ونيل الغلبة لأولياء الله الموحدين (على حد قوله) فهو القائل: [١٨]

ولما قضينا بالمشــارق أمرنا وتم مراد الله في كل مطلب
وأشرقت الشمس المنيــرة موهنا وأصبح وجه الحق غير محجب
وطهر هذا الصقع من كل كافر وعاد بها الإسلام بعد تغيب
وكسرت الصلبان في كل بيعة ونادى منادي الحق في كل مرقب
أشرنا بأعناق المطي إليكمُ فطار بها شأو السرور بمغرب
فابشــر ابا حفص بنصر مؤزر كفيل بما تبغيه في كل مذهــب
ولابد من يوم أغــر محجل يسيل دماء الكفر في كل مذنــب

وفعلا فقد تحقق النصر على يده ففتحت المهدية عام ٥٥٥هـ. [١٩]

والصوت النبوئي نفسه نجد أصداءه تتردد في قصيدته الدالية التي نقتطع منها البيتين الآتيين: [٢٠]

ستلقى بلاد الروم منه حتوفــها ويغشى أولي الإلحاد من ذكره جهد

وما كان هذا الغزو إلا مِنَ اجله فلما تجلى صبحه كمل القصد

فلا يخفى أن دولتي المرابطين والموحدين اللتين ظهرتا في المغرب قام أساسهما على الأحلام والأساطير والنبوءات والشعوذة[٢١] ولعل مراجعة لكتاب المعجب للمراكشي ستغني الباحثين في ذلك. [٢٢]

والنبوءات نفسها أوحت لعلّية القوم في غرناطة بدنو أجلها بعد اتحاد شطري إسبانيا من خلال البوتقة الزوجية بين ملكي الارجون وقشتالة. ومحاولتهم بسط نفوذهم بالقوة والإذعان. وطلبهما أن يدفع الملك المسلم الغرناطي أبو الحسن الجزية. فلما علم بأمرهما دفعته عزة النفس وكبرياؤها أن يدفع لهم الجيوش لغزوهم فأرسل كتيبة باغتت الأسبان في بلدة الصخرة.

في خضم هذه الأحداث تنبأ القوم أن ساعة غرناطة قد دنت بهذا التصرف الأرعن من الملك وأن النهاية محتومة. وفعلا سمعت صيحة مدوية من أحد عقلاء غرناطة في قصرها ((ويل لنا. لقد دنت ساعتك يا غرناطة، ولسوف تسقط أنقاض الصخرة فوق رؤوسنا قد حلت نهاية دولة الإسلام بالأندلس)). [٢٣]

نعم تحققت هذه النبوءة بعد زمن قريب. فأبو الحسن ثارت عليه زوجته عائشة وابنه عبد الله الذي سلم غرناطة في معاهدة التسليم المشينة عام ٨٩٧هـ.

يبدو مما تقدم أن النبوءات التي ذكرناها إنما هي استنطاق لأحداث سابقة، وقراءة متأنية للواقع من مناحيه كافة. فضلا عن اعتبار بعض هذه الأحلام واقعا، فألغت تلك الحدود بين ما يرى في المنام وبين ما يعاين في الحقيقة. ويبدو أيضا أن هذه الأحكام تنطبق على الأمم جميعا تلك التي سبقت الأمة الإسلامية بالأندلس أو تلتها في ارتباطها بالقصص والخرافات والنبوءات. كما لاحظنا أن بعض هذه النبوءات ـــ وإن لم تصدق بواعثها ـــ كانت تصدر من النصارى أنفسهم أولئك الذين حاولوا استمالة المسلمين إلى جانبهم لغاية ارتضوها لأنفسهم تحقيقا لمآرب سياسية، أو انتقامية، أو ربما من باب الملق السياسي الذي لا شك في وجوده في بلد مثل الأندلس كانت رحى الفتنة تدور على جبهتيها الإسلامية والنصرانية. كما لا ننسى ما كان من خلاف كبير بين (لوذريق) الملك الإسباني و(يوليان) حاكم سبتة، حتى أفضى هذا الخلاف ـــ فيما بعد ـــ لأن يكن مدعاة لدخول المسلمين وجوازهم البحر نحو الأندلس.

يمكن القول إن الأندلسي –كسواه-من البشر إنما ينتابه قلق دائم في حاضره ومستقبله. متوقعا على الدوام ما هو أسوأ، ومتأسفا على ما فات. فتراه يحلق بأحلام وربما أساطير أو خرافات ليطمئن لها بعد أن يفرغها في أنموذج فكري صنعه هو بنفسه ليواجه بها كدمات الزمن وغوائله.

ثانيا: نبوءات الشعراء وقوة حدسهم:

استوقفتنا نماذج شعرية لا بأس بها لشعراء أحاطتهم تنبؤات في جانبها الحدسي القائم على تخيل ما سيحصل. لاسيما تلك التي تتعلق بمصير الدول والممالك. فتنامت حولهم الأخبار حتى جعلتهم أبطالا في الذاكرة الشعبية. فنصب أولئك الشعراء أنفسهم عرافين بمستقبل الملوك والأشخاص والبلدان. وامتد تأثيرهم ليغير تلك الخريطة السياسية لتلك الدولة أو سواها على نحو ما سنرى. . .

إن قدرة الشاعر ابن عمار (٤٧٧ هـ)[٢٤] على استبصار الأشياء ودفعها من الواقع المتخيل إلى الواقع الحادث متكئا بذلك على الموروث الديني، دفعته إلى القول بسقوط (بلنسية)[٢٥] في وقت مبكر جدا من سقوطها النهائي بعد أن لمس تخاذلا من حكامها وتقاعسا من أولي الأمر في الذود عنها فضلا عن تنامي الإحن والمحن والغدر وسواها من الأفعال التي تنخر جسدها فأدت في النهاية إلى سقوطها فقال: [٢٦]

خبرّ بلنسية وكانت جنـــة أن قد تدلت في سواء النار
غدرت وفيا بالعهـــود وقلما عثر الوفي سعي إلى الغدار
جاء الوزير بها يكشف ذيلها عن سوأة سوأى وعارٌ عـار
نكث اليمين وحاد عن سنن التقى وقضى على الإقبال بالإدبار
ما كنتم إلا كأمـة صالح فرماكم من طاهر بقـدار
هذا وخصّكم بأشأم طائـر ورمى دياركم بأســوأ جار

ويبدو أن قراءة ابن العسال[٢٧] كانت أكثر وضوحا. لذلك جاء صوته أكثر دويا وهو يتنبأ بالانهيار الكامل ووقوع كارثة طليطلة[٢٨] التي كانت بحق قاصمة لظهر المسلمين وقتذاك. فمسحة التشاؤم بادية على أبيات القصيدة مع دعوة صريحة إلى الرحيل وعدم المواجهة. بعد أن تيقن أن لا محال من الانهيار في ضوء ما استقرأه من واقع مرير. وضعف واضح من ملوك الطوائف، وعجز عن الدفاع عن المدينة. فكان سقوطها كما توقعه الشاعر قاصما لظهر الأندلس ساعتذاك ومثّلَ منعطفا خطيرا في معادلة الصراع مع النصارى في حربهم الاستردادية، فقال: [٢٩]

يا أهل أندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفط

وقد يرتبط الجهاد الديني بالسعود بعد قراءة مستفيضة من الشاعر عبد الملك بن المعتمد بن عباد فأنشد لنفسه شعرا يستبشر بالنصر الناجز في بطليوس فقال: (٣٠)

لابد من فرج قريب يأتيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك سيعود بالفتح القريب
لله سعدك انه نكس على دين الصليب
لابد من يوم يكو ن له أخا يوم القليب

وعن ذكر هذه القصيدة أيضا فان الطرف الآخر وأعني بهم الأسبان قد ذكروا في أدبياتهم أن الاذفونش(٣١) قد رأى في منامه كأنه راكب فيلا وبين يديه طبل صغير وهو ينقر عليه. فقص هذه الرؤيا على أصحابه من القساوسة فلم يعبروا له رؤياه فاستدعى عرافا مسلما فقص عليه ما رأى فطلب منه العراف المسلم إعفاءه من الإجابة لسوء طالعها بيد أن الاذفونش أصر على ذلك. فقال له إن رؤياك هذه في كتاب الله في قوله تعالى (الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الفيل /١ وقوله تعالى أيضا (إذا نقر في الناقور×فذاك يومئذ يوم عسير×على الكافرين غير يسير)) المدثر ١٠/٨ فلما اجتمع جيشه ورأى كثرته سأل المعبر وعلامات الخيلاء والتكبر على وجهه قال له: بهذا الجيش ألقى إله محمد صاحب كتابكم!فقال المعبر إن هذا الملك وجيشه هالك! وفعلا كان كذلك كما توقع المعبر والشاعر. (٣٢)

وتعالت صيحات ابن عياش القرطبي (٥٦٨ ه)(٣٣) لما ألفى تقاعسا من ولي الأمر في تلبية داعي الجهاد. فلما تأخر مجيئهم، ربما خشية من اللقاء في المعترك رسم صورة تحيط بها عوامل النصر وتحف بها أطر البشرى بعد أن قرأ الواقع العسكري والسياسي فتوقع النصر. فلما سمع بها إخوانهم المغاربة أجابوا إلى الطاعة على حكم الاستطاعة(٣٤). فأما القصيدة فهي: (٣٥)

أقيموا إلى العلياء عوج الرواحل وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر وشدوا على الأعداء شدة صائل
تعالوا فقد شدت الى الغزو نية عواقبها مقصورة بالأوائل
هي الغزوة الغراء والموعد الذي تنجز في أفق المدى المتطاول
بها تفتح الدنيا بها تبلغ المنى بها ينصف التحقيق من كل باطل
عزمنا وأمر الله لابد واقع على وقعة تودي بدين الفياصل

ولما عاين الوادي آشي (ت ٧٤٩هـ)(٣٦) إيوان غرناطة بعين المتحسر على ذهابه. تنبأ وبما لا يقبل الشك من أن الدهياء ستطرقه وسيتناثر كما تناثرت عقود الجزيرة في المدن الأخرى. وفعلا، فقد صدق قائل هذه

الأبيات. بعد أن تلمس بوادر الانهيار وضياع الاندفاعة الصادقة للجهاد عند أغلب الأمراء الأندلسيين في الحقبة التي عاشها الشاعر وقيل إنها ليست له فأما الأبيات فهي: [٣٧]

إيوان غرناطة الغراء معتبر طِلِّسْمُهُ بولاة الحال دوار
وفارس روحه ريح تدبّره من الجمـــاد و لكن فيه أسرار
فسوف يبقى قليلا ثم تطرقه دهياء يخرب منها المُلْك والدار

وبعد أن تعاظمت المأساة في نواحي الأندلس أجمعها. وتداعي أركانها بعد اشتداد سعير الحرب الاسترادية التي عصفت بالجزيرة. تخطت نبوءة الشعراء التفكير بأحوال مدنهم إلى حدود الأندلس جميعا. ولعل الصيحة التي أطلقتها الكنيسة في القرن الخامس للهجرة، كانت ناقوس الخطر الذي أيقظ هواجع أولي الأمر، ومنهم الشعراء. لذلك لا نتفاجأ أن نجد شعراء آخرين سبقوا الوادي آشي هذا. كالرندي وأبي موسى وابن الأبار وأبي إسحق إبراهيم (ت ٥٧٢ هـ). مما ينطوي على قوة حدس الشعراء، وصدق تفاعلهم مع مجريات الأحداث. بعد أن التاثت الأمور السياسية والاجتماعية. وتفشي البغضاء والإحن والفتنة التي ظهرت جذعة آنذاك.

وعود على بدء فإن الشاعر أبا إسحاق إبراهيم[٣٨]. تنبأ بهذا السقوط في قصيدته الطويلة التي لم يصل إلينا منها سوى أبيات ثمانية. فقال:

ألا مسعد منجد ذو فطـــن أو فيبكي بدمـــع معين هتن
جزيرة أندلس حسرة لما غالها من خطوب الزمن
ويندب أطلالها أسفا ويرثي من الشرع ما قد وهن
ويشكي الأيامى ويبكي اليتامى ويحكي الحمام ذوات الشجن
ويشكو إلى الله شـــكوى شج ويدعوه في السر ثم العلن
ويعني الجزيرة مما دعا لما نالها من ضروب الفتن
لقد جللتـــها صروف الردى شآبيب كرب كمثل الدجن

أما نونية الرندي (ت ٦٨٤ هـ)[٣٩] الشهيرة، فهي أبلغ مما نعبر عنها في نبوءة صاحبها بحال الأندلس. فقد توقع انهيار الجزيرة قبل أوان سقوطها، فمثلت ــ بحق ــ نفثة من نفثات النظم المبكية التي لا يمكن أن تخمد حرارتها. حتى أن الأسبان أنفسهم ترجموا القصيدة إلى لغتهم. ولعل من الراجح أن تاريخ نظمها كان في عام (٦٦٥ هـ) استنادا إلى النص الذي ورد في الذخيرة السنية. واطمأن إليه محمد عبد الله عنان[٤٠]. أي أنها نظمت قبل ذهاب الأندلس بأكثر من مائتي سنة. فهذا التبكير في رثاء الأندلس لم يأت اعتباطا. بل ينطوي على صدق إحساس الشعراء، بما سيؤول إليه مصيرها. فأما قول الرندي فهو: [٤١]

فجائع الدهر أنواع منوعة وبعضها فوق بعض وهي ألوان
وللحوادث سلوان يسهلها وما لما حل بالإسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له هوى لها أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الإسلام فارتزأت حتى خلت منه أقطار وبلدان

يلاحظ إن لتطاول النصارى وتماديهم. في حربهم الاسترادادية كان السبب الذي أوقد عاطفة المسلمين. وأيقظ هواجعهم. وبعث فيهم الروح الإسلامية والغيرة الوطنية. كما أدرك الشعراء أيضا إن عوامل الانهيار والانحلال والتدهور بدأت تسري بدولتهم. فجعلتهم في مرمى العدو المتربص بهم الدوائر. فجاء شعرهم الذي تنبأ بالسقوط النهائي متسقا مع الأحداث وجسامتها. مع عمق في تحليل الواقع السياسي الذي ظل يراوح في مستنقع الهزيمة إلا ما ندر! وأضحى شعرهم هذا معبرا ــ وبحق ــ عن روح العقيدة الإسلامية من خلال تحذيرهم، مما سيحدث، وتحريضهم على الجهاد حفاظا على ما تبقى للأندلس من مدن. استنادا إلى مقولة احد فقهائهم ((محرض واحد خير من مائة مقاتل))[٤٢]. فتلازم شعرهم مع روح الإسلام. وتمثل مبادئه.

إذا كنا قد أفضنا في الحديث عن الجانب المتشائم من النبوءات الشعرية فإن من الشعراء من كان أكثر تفاؤلا في نظرته إلى مستقبل الأندلس فنظر من كوة تبدو لنا ضيقة في قراءته للواقع السياسي والعسكري أو ربما يكون للمآرب السياسية في التقرب من أصحاب القرار من السلاطين والملوك. أو إن التفاؤل كان مقصورا على واقعة معينة أو معركة خاطفة يتحقق فيها النصر دونما بعد (ستراتيجي)بعيد الأمد.

إن غايتنا في هذا البحث تنطوي على تتبع النبوءات ومدى تحققها بغض النظر عما آلت إليه نتائج الأحداث السياسية. فالشاعر الأعمى التطيلي (ت ٥٢٥ ه)[٤٣] صاغ نبوءته حوارا بين المسلمين من جهة والنصارى من جهة أخرى. فتوقع النصر في معركة (اقليش)[٤٤] عام ٥٠١ هـ. قبل حدوثها بقيادة أبي طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين. ضد خصمه اللدود الفونسو السادس وابنه شانجه مصورا المعركة كما لو انها حدثت فعلا عام ٥٢٠ هـ. ونلفت عناية القارىء ان الشاعر اعمى فقال: [٤٥]

سل الروم في اقليش يوم تجايشوا ألم يعلموا أن الفرائس للأسد
تباروا إلى تلك الحتوف فسلهم أما كان عنها من محيص ولا بد
ألم يك في الإسلام من متعرض بكف ولا في السلم من عرض يفدي
ولا في جنود الله حين أتتكمُ لها من قدير يدفع الهزل بالجد
غداة رماكم كل طود بمثله من القصب المنأد والحلق السرد

أعز من الهضب التي قذفت بها فما بالكم كنتم أذل من الوهـد
ألم تزعموا أن الصليب وأنه كأنكمُ لم تسمعوا بالقنا الملـد
رويدكمُ حتى تروا كيف ترتمي بأنفسكم بين الإجازة والرد

وفعلا تحققت نبوءة الشاعر، وتحقق النصر في هذه المعركة. ويبدو أن جواز المرابطين البحر ونصرتهم إخوانهم بالأندلس كان له الأثر الأكبر في إصابة الشاعر.

أما ابن الآبار (ت ٦٥٨ هـ)[٤٦] فقد تنبأ هو الآخر بالنصر في معركة (أنيشة)[٤٧] عام ٦٣٤ هـ بقيادة شيخه أبي الربيع بن سالم الكلاعي إلا أنه في الوقت عينه تنبأ باستشهاد القائد نفسه. والأمران في الأدبيات الإسلامية يعدان نصرا للشاعر والمسلمين كليهما. ومع خطورة هذا التنبؤ فإن أبياتها لم تثن القائد من المشاركة في المعركة تلبية لداعي الجهاد. مستصرخا وحاثا على اعتبار أن الشهادة في سبيل الله أعظم فوز يتمناه المسلم. كما يبدو من تكرار الشاعر لقوله (جوار الله) في قصيدته حين قال: [٤٨]

هم القوم راحوا للشـــهادة فاغتدوا ومالهم في فوزهم من مقاوم
تساقوا كؤوس الموت في حومة الوغى فمالت بهم ميل الغصون النواعم
مضـــوا في سبيل الله قدما كأنما يطيرون في إقدامـــهم بقوادم
يرون جوار الله أكرم مغنم كذاك جوار الله أسنى المغانم
عظائم رامـــوها فخاضوا لنيلها ولا روع يثنيهم صـــدور العظائم
وهان عليهم أن تكون لحودهم متون الروابي أو بطون التهائم

ينبغي لنا عند النظر إلى نبوءات الشعراء في جانبها المتفائل أن نتلمس مدى اتكاء الشعراء على الموروث الإسلامي والعربي في نظرتهم هذه، ومدى الاستفادة منه في استشراف المستقبل. ولعل مطالع قصائد بعض الشعراء تنبئ عن ذلك كابن الجياب[٤٩] (٧٤٩ هـ) فقال: [٥٠]

الحمد حق الحمد للرحمن كافي العدو وناصر الإيمان

أو قول ابن زمرك[٥١] (٧٩٦ هـ) فقال: [٥٢]

فأصليت عباد المسيح من الوغى سعيرا به يرضى المسيح ومريم
أبد زمر التثليث بالله وحـــده فمن يعتصم بالله فالله يعصم
ونبه سيوفا ماضيات على العدا وخل جفون المرهفـــات تهوم
وبشرى بعيد الفطـــر أيمن قادم عليك بمجموع البشـــائر يقدم

وقول الشاعر بن الخطيب (٧٧٦ هـ): [٥٣]

ودجا ظلام الكفر في آفاقهم أوليس صبحك منهم بقريب

وقوله:

تناقلت الركبان طيب حديثه فلما رأوه صدق الخبر الخبر

فلقد شم الشعراء رائحة النصر من خلال اقتباس آيات أو أحاديث نبوية، تبشر بالنصر، لما لها من وقع مباشر، وتأثير أبلغ في نفوس المتلقين لغاية في أنفسهم تتمحور بدفع أولي الأمر والعامة من الناس من أجل إنقاذ دماء المسلمين. والحفاظ على الثغور الإسلامية التي لما تسقط بعد.

لا يفوتنا القول إن بعض نبوءات الشعراء ممن وقفنا إزاءها ــ كانت شخصية في مظهرها العام إلا أنها كانت تمثل حلقة من حلقات الصراع الدائر آنذاك بين قطبين. ففي مدينة سرقسطة حيث كانت حلبة للصراع. هم الشاعر الفارس (أبو الوليد بن فختون)[٥٤] لمقاتلة زعيم النصارى بعد نبوءة شعرية سرَّ بها زوجته شعرا، فقال: [٥٥]

سيفي أطارحه الشكاة على الأسى ويضج أن أشكو ولا استله
ويبيت يأسوني بكل مضيئة يحكي بها يوم الوقيعة فعله
أيرق لي سيفي ويطفئ حرقتي وتمل وصلي في دجاي ووصله
أجحدته يا ليل وهو رفيقنا المجد يعرفه ويعرف نبله
صقلته أندلس السيوف ولم تزل شغفا تجد على لظاها صقله
فالحق ضراب بهامات العدا لم يدعه دمهن إلا طله
ما ناء سيف في الجهاد بحمله إلا وشاطره رؤاه وحمله

وما كاد ينتهي من هذا الإيقاع المعبر عن التفاؤل لملاقاة عدوه وتحقيق الظفر عليه. حتى أجابته زوجته بالتفاؤل نفسه. فقالت: [٥٦]

ماذا عليك لو انتظر ت غدا تهزهز فيه فعلك
أولم أقصُّ عليك فعل فتى العلا بالليث قبلك
ها هم على الثغر العلو ج فلاقهم واستفت فألك

وفعلا فإن النصر كان حليف هذا الشاعر الفارس بعد أن أبلى بلاء حسنا. ولم تفاجأ زوجته بهذا الصنيع، فكانت هي ممن شاركته تلك النبوءة التي انطوت كما يبدو على إظهار صورة البطل المسلم في معترك الوغى. وتوظيف الشجاعة في خدمة المعتقد.

إزاء ما تقدم، نخلص إلى القول إنّ النبوءة بمعناها الحقيقي لا يمكن أن تتحقق مع الشعر، فهي ما خص الله به نبيه (وما علمناه الشعر وما ينبغي له)[٥٧] ولكن الذي نعنيه تلك النبوءات القائمة على تحطيم وحدة الزمن في المستقبل ليصبح زمنا قريبا، كأنه واقع حقيقي فيرتبط تبعا لذلك مصير الأفراد والأمم فيه. وغالبا ما كانت تلك النبوءات الشعرية التي وقفنا عندها تعبر عن الذات العميقة اللاوعية من خلال ما تواردت من صور في أحلام الشاعر فما

كان بالأمس حلما سيغدو حقيقة وهذا ما يخالف العلم الحديث الذي يرى إن الحلم يتجه نحو أعماق الإنسان الذهنية في ماضيه، وليس في مستقبله.

فترانا نميل إلى أن فراسة الشعراء وقوة حدسهم، أو ربما أن شياطين الشعر يدفعونهم إلى قول ما لم نستطع رؤيته، كما سرى الاعتقاد منذ أمد بعيد عن شياطين الشعراء. كما لا ننسى أن نعول على نظرية الإلهام في الشعر، كون الشاعر قد شعر بالحدث فأحاله إلى واقع لما ينماز به من موهبة لا مناص من إقرارها في محاولتنا هذه تفسير تلك الملكة الشعرية، التي أنطقت صاحبها بالمعاني المبدعة والأخيلة السامية في تصور ما سيحدث. أو ربما هو قوة قد تكون غير مدركة من قبلنا استطاعت أن تحطم القيود المتعارف عليها نفذت من خلال العقول دون الأبصار.

إن عملية إلغاء الزمن والمسافة وصولا إلى اللحظة التي تكون ألفاظه وأفكاره لا تخضع إلى قيود لا يمكن أن تتأتى إلا من خلال القدرة على استنطاق ما خفي من الأمور، بل والعبث بالكلمات لقراءة خفايا الكون وطبيعته بصورة تنم أو تكاد تقترب من الحدس الصادق. فالشاعر من حيث يدري او لايدري فإنه ينظر الى أحداث التاريخ فيسوي بينها وبين خياله وجموحه الفكري. ومهما حاول الشاعر ان يفلسف نظرته للكون أو الحياة وفقا لمنطق العقل إلا أنه في النهاية سيركن إلى الخوارق مثلا أو الخيال بما يمتلكه من قدرة على حبك خيوط شعورية بين ما هو متخيل وما هو واقع. وهذا – بالحقيقة- ما لمسناه في جل الشعراء الأندلسيين لاسيما في محاولاتهم المتكررة في تفخيم الواقع وإضفاء موصوفات تكاد تلامس اللامعقول. غايتها في النهاية تشكيل صورة جديدة للواقع واستشراف للمستقبل يتميز به من سواه من البشر.

الهوامش والتعليقات:

(١) ينظر فلسفة التصوف ص: ٢٢٤.
(٢) نظرية الشعر: ص٩٠.
(٣) ينظر روضة التعريف: ص١٣٩.
(٤) الأصمعيات: ص٥٤.
(٥) فلسفة أفلاطون: ص٤٤ نقلا عن حياتي في الشعر ص٥٨.
(٦) ينظر المصدر نفسه: ص٥٨.
(٧) تاريخ الأندلس /مؤلف مجهول: ص١٥٢.
(٨) نفح الطيب: ٢٣١/١.
(٩) نفسه.
(١٠) ينظر تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية: ص١٥٢.
(١١) ينظر البيان المغرب: ٤٢/٢.
(١٢) معركة فاصلة دارت بقرب موقع يدعى بالزلاقة بين ملك النصارى الفونسو السادس والمسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين فاستعادت الأندلس تماسكها وقوتها بعد هذه المعركة وللاستزادة ينظر المعجب ١٩٣والروض المعطار ص٢٨٧.
(١٣) ابن تومرت: محمد بن عبد الله بن تومرت من قبيلة هرنمة البربرية ظهر في مراكش آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر وأرجع بعض المؤرخين نسبه إلى آل البيت. ترجمته في المعجب ١٧٩ ووفيات الأعيان ٥ \ ٤٦.
(١٤) ينظر المعجب ص: ٢٥٦.
(١٥) المصدر نفسه: ص٢٤٧.
(١٦) المصدر نفسه: ٢٤٩ وينظر المن بالإمامة: ص٢٣٦.
(١٧) المن بالامامة: ص٢٣٦.
(١٨) المصدر نفسه.
(١٩) للاستزادة ينظر تاريخ المن بالامامة: ص١١٧.
(٢٠) نفسه: ص١٢٦.
(٢١) ينظر الاستقصا: ٢٤٠/١-٢٤٤.
(٢٢) ينظر المعجب: ص٢٤٥/٢٤٦/٢٤٧/٢٤٩/٢٥٠/٢٦٠ وسواها.
(٢٣) نهاية الأندلس: ص٤٣٢.
(٢٤) ابن عمارالوزير الشاعر من قرى شلب ترجمته في المغرب ٣٨٩/٢ والنفح ١٨٤/٨٣/١.
(٢٥) بلنسية: إحدى أهم مدن شرق الأندلس سقطت نهائيا عام ٦٣٦ ه -نفح الطيب /١٨٤.
(٢٦) ابن العسال: أبو محمد عبد الله بن فرج اليحصبي. كان حافظا للحديث فصيح اللسان. ترجمته المغرب٢١\٢.
(٢٧) طليطلة إحدى مدن شرق الأندلس سقطت عام ٤٧٨ه بيد الاذفونش وكان سقوطها نتيجة خدعة ماكرة.
(٢٨) الذخيرة ٢٥٠/١/٢ والنفح ٣٥٢/٤.
(٢٩) نفح الطيب: ٣٦٤/٤.
(٣٠) الاذفونش: حاكم طليطلة منذ عام ٥٢٨ه.
(٣١) ينظر الاستقصا٢٠٤/١.
(٣٢) ابن عياش: كاتب يعقوب المنصور الموحدي ترجمته في النفح٢٤٠/٣.
(٣٣) ينظر المن بالإمامة: ص٤٤٤.
(٣٤) المصدر نفسه ٤٤٢.

(٣٥) الوادي آشي أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي. ترجمته في نفح الطيب ٤ \ ١٨٥.
(٣٦) ٣٦ -نفح الطيب: ٥٠٧/٤
(٣٧) إبراهيم بن خلف بن محمد بن حبيب بن عبد الله بن عمر بن فرقد. ترجمته في فهرسة ابن خير. ٢ \ ٦٠١ وبرنامج شيوخ الرعيني ص١٣٢. الذيل و التكملة ٤٢١\٦ الإحاطة ١ \ ٣٧٤.
(٣٨) صالح بن يزيد بن صالح موسى بن شريف الرندي النغري. ترجمته في اختصار القدح المعلى ص٢٠. الذيل والتكملة بقية السفر الرابع ص١٣٦. نفح الطيب ٤ \ ٤٨٦.
(٣٩) ينظر نهاية الأندلس: ص١٢٧.
(٤٠) نفح الطيب٤٨٧/٤.
(٤١) تحفة الأنفس: ص ٣٢.
(٤٢) الأعمى التطيلي: أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة ينسب إلى قيس ترجمته ببرنامج شيوخ الرعيني ٢٠٢.
(٤٣) اقليش أو اقليج قاعدة كورة شنتبريه تقع شرق طليطلة وجرت فيها معركة بين المرابطين وجيش الفونسو السادس بقيادة ابنه شانجة سنة ٥٠٢ هجرية وتم إحراز النصر المؤكد للمسلمين ينظر الاستقصا ٦٣/٢.
(٤٤) ديوانه: ص ٣١.
(٤٥) ابن الأبار: ابو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي ولد ببلنسية عام ٥٩٥هجرية.
(٤٦) انيشة: مدينة من أعمال بلنسية تبعد عنها سبعة أميال ينظر: الروض المعطار ص٣٢.
(٤٧) ديوانه: ص٢٧٦.
(٤٨) أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري الغرناطي وكان يترأس ديوان الكتاب بغرناطة.
(٤٩) ديوانه:
(٥٠) ابن زمرك محمد بن يوسف بن محمد الصريحي ولد في غرناطة وأقام فيها حتى مقتله عام (٧٩٦ هـ).
(٥١) ديوانه: ص٤٨٩.
(٥٢) ديوان الصيب والجهام: ص٢٨٨.
(٥٣) ابن فختون: من أشهر فرسان الأندلس أيام المستعين بن هود أمير سرقسطه. وترجمته في سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي: ص٢٦. وينظر رسالة الجهاد (الليبية) العدد ١٦.
(٥٤) نفح الطيب ٢٨٥/٣.
(٥٥) نفسه.
(٥٦) يس/اية ٦٩.

مصادر البحث:

- **القران الكريم**

١. اختصار القدح المعلى في التاريخ المعلى لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى. تحقيق ا إبراهيم الابياري –القاهرة١٩٥٩
٢. الإسلام في المغرب والأندلس. ليفي بروفنسال –ترجمة محمود عبد العزيز سالم. مطبعة
٣. النهضة مصر القاهرة ١٩٥٦.
٤. الاصمعيات /اختيارات أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي تحقيق د. قصي الحسين دار البحار –بيروت الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤.
٥. برنامج شيوخ الرعيني. أبو الأحسن علي بن محمد الرعيني. تحقيق إبراهيم شبوح المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٦٢

٦. البيان المغرب الإحاطة في أخبار غرناطة –لسان الدين بن الخطيب –تحقيق عبد السلام شقور – مطبعة تطوان المغرب(د. ت)
٧. في أخبار الأندلس والمغرب –القسم الموحدي-لابن عذار المراكشي تحقيق محمد إبراهيم الكناني –محمد بن تاويت –محمد بن زنبير زمامة. دار الغرب الإسلامي. بيروت ط الأولى ١٩٨٥
٨. تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية –تحقيق إبراهيم الابياري –دار الكتاب المصري القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٩.
٩. تاريخ الأندلس –مؤلف مجهول دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية٢٠٠٩
١٠. حياتي في الشعر. صلاح عبد الصبور دار العودة. بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٩.
١١. ديوان ابن الأبار القضاعي. تعليق د. عبد السلام الهراس. الدار التونسية للنشر ١٩٨٥
١٢. ديوان ابن الخطيب (الصيب والجهام والماضي والكهام)لسان الدين بن الخطيب دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر الشركة الوطنية للنشر –الجزائر ١٩٧٣
١٣. ديوان ابن زمرك جمعه الدكتور أحمد سليم الحمصي –المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٨
١٤. ديوان ابن عمار صلاح خالص مطبعة الهدى بغداد ١٩٥٧
١٥. ديوان الأعمى التطيلي-دار صادر بيروت ١٩٨٩.
١٦. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية –مؤلف مجهول –عني بنشره الشيخ محمد بن شلب – مطبعة جول كريبول الجزائر ١٩٢٠
١٧. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة –أبو عبد الله المراكشي –السفر الأول –القسم الأول بتحقيق محمد بن شريفة-دار الثقافة بيروت ١٩٦٤.
١٨. رثاء المدن في الشعر الأندلسي. رعد ناصر الوائلي. مركز عبادي للدراسات والنشر الطبعة الأولى ٢٠٠٢
١٩. رسالة الجهاد الليبية العدد ١٦ السنة الثانية يناير ١٩٨٤.
٢٠. الروض المعطار في خبر الأقطار –محمد بن عبد المنعم الحميري تحقيق إحسان عباس. مكتبة لبنان الطبعة الثانية
٢١. روضة التعريف بالحب الشريف /لسان الدين بن الخطيب –تحقيق عبد القادر أحمد عطا-دار الكتب العلمية –بيروت٢٠٠٣.
٢٢. سراج الملوك لأبي بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي مطبعة مصر ١٨٧٢
٢٣. فلسفة التصوف في الشعر الأندلسي. د حميدة البلداوي /الدار العربية للموسوعات/٢٠١١
٢٤. فهرسة ابن خير الأموي الإشبيلي –تحقيق إبراهيم الابياري دار الكتاب المصري واللبناني-ط الاولى ١٩٨٩.
٢٥. المعجب في تلخيص المغرب –عبد الواحد المراكشي ٠صنعه وعلق على حواشيه محمد سعيد العريان ومحمد العربي –مطبعة الاستقامة بالقاهرة ط الأولى ١٩٤٩.
٢٦. المعجم الأدبي-جبور عبد النور دار العلم للملاين الطبعة الأولى بيروت ١٩٧٩.
٢٧. المعلى في التاريخ المعلى لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى. تحقيق إبراهيم الابياري – القاهرة١٩٥٩.
٢٨. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني حققه إحسان عباس دار صادر بيروت ١٩٦٨.
٢٩. نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين. محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٨٧.

Andalusia's expect poets hidden icon to the prophecies unfulfilled

Dr. Raad Nasser Waeli
College of Education / University of Wasit

Prophecy is not a prophecy of the priest or fortune-teller who threshing blindly in the shadows infect each other and infallible in many of them. It is not a prophecy، such as those that characterized all the prophets of God Vastefahm others from humans. It is also not a mystic prophecy that reflected his image of the unseen and beyond until it reaches through to a state of (Almkashifat) and manifestations up to the divine after annihilate self qualities and liberated from the restrictions in an environment that was characterized by rich intellectual، enriched the mind enormous (Bmarjaaat) of knowledge، including what is a Muslim and another foreigner after Debate the effects of a deep spiritual based on the consideration and reflection.